« أحلام على رفوف الذاكرة »

اسم الكتاب : أحلام على رفوف الذاكرة
تأليف : د .محمود مرسي
تصميم الغلاف : رامي نشأت
مراجعة لغوية : علاء شعبان
رقم الإيداع : ٢٠٣١٨ / ٢٠١٨
الترقيم الدولي : ٣-٤-٨٥٤٢٩-٩٧٧-٩٧٨

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense

زيرو وان بيكتشيرز للتوزيع - شارع أحمد فخري - مدينة نصر - القاهرة
تليفون : 01090288777 -01285829109

«زيرو وان» للنشر و التوزيع

E.mail: Zeroonepictures@outlook.com

Zeronepictures.com

website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعّبر بالضرورة عن رأي الدار.

«أحلام على رفوف الذاكرة»

«ديوان شعر»

للدكتور

محمود مرسي

زيرو وان

إهداء

قِل للحياة

أنا السعيد وإن لم تكن

أخف حزنك ما استطعت

قل للزمان

أنا القوي و إن لم تكن

أخف ضعفك ما استطعت

قل للوجود

أنا الوجود وأنت يوم عدم

سأموت لأحيا ثانية

حالماً بجنة ونخيل وثمر

وقل لنفسك

إذا خلوت بها

أنا الحزين أنا الضعيف

أنا العدم

بوعدك ربي؛ برحمتك سأنتصر.

******

"المقدمة"

من منا لم تراوده أحلام اليقظة؟! تلك الأحلام التي تعبر عن رغباتنا المكبوتة وتحقق لنا أمنيات الطفولة ونهرب فيها من الرقابة والقيود المحيطة.

من منا لم يحلم وهو مستيقظ كما يحلم وهو نائم؟!

إنها الأحلام ملجأ أرواحنا ومصدر الإبداع وصديقة أيامنا الوفية.

يُعرف العلماء الحلم أنه نشاط في القشرة الدماغية، ومن لا يحلم قد يعاني من مشاكل صحية تبدأ من الأرق إلى الإكتئاب.

في هذا الكتاب بعضٌ من أحلامي وأحلام جيل أقترب من نهاية العقد الرابع، أحلام تحولت إلى قصائد قد تساعد من يقرأ أن ينفصل قليلاً عن العالم المحيط ويغوص في أحلام رتبتها على رفوف ذاكرتي.. ليست أحلامي فقط ولكن أحلام سمعتها ورأيتها في عيون من مروا في دروب حياتي.

محمود مرسي

الباب الأول

"جواز سفر"

«القَدْرُ والحظُّ»

كانَ حظي أنْ يُفتحَ بابُ الدارِ
على بابِ الكنيسةِ
وأنْ أعودَ منْ مسجدي
لأُلقيَ على الأبِ كيرلسَ التحيةَ

كانَ حظي
أنْ أكونَ أنا مسلمًا
ويكونَ صديقي مسيحيًّا بالوراثةِ
أنْ نختلفَ على شكلِ العقيدةِ
وعلى معنى الهويةِ
عنِ الأبديةِ
عنِ الحياةِ البعيدةِ
فيقولُ أنتَ لمْ تختَرْ

فأقولُ ولا أنتَ
أنتَ لمْ تقرأْ كتابي
فيقولَ ولا أنتَ
نتبادلُ نسختينِ
من إنجِيلِهِ ومنْ قرآني
سأقرأُ أنا وتقرأُ أنتَ

أعودُ إلى بيتي مسرعًا
فيتبعُني هاربًا منْ ظلي الفضوليِّ
أخفي كتابَهُ بينَ كتبي المدرسيةِ
وأطالعُ العهدَ القديمَ
إنجيلَ مَتَّى
رسائلَ بولسَ الرسولِ
سِفرَ التروِيةِ إلى روميه

نلتقي فيقولُ:

هلِ اخترتَ؟

ليسَ بعدُ

وأنتَ؟

ليسَ بعدُ

يقولُ:

اتبعْني، فأتبعُهُ

إلى الكنيسةِ القديمةِ،

يشعلُ شمعةً

فأشعلُ شمعةً

يأكلُ الخبزَ المباركَ

آكلُ الخبزَ المباركَ

يرسمُ بيدِهِ صليبَهُ

فلا أرسمُهُ

فيقولُ: أنتَ الآنَ اخترتَ

ويتبعُني إلى المسجدِ

يفرِدُ كُمَّ قميصِهِ الأسودِ

ليخفيَ صليبَهُ الأخضرَ

يخلعُ حذاءَهُ

يجلسُ القرفصاءَ

يقرأُ آيتينِ

يأتي النداءُ

فيخرجُ

فأقولُ: وأنتَ الآنَ اخترتَ

أعيدُ ترتيبَ الحكايةِ

ماذا ستفعلُ؟

سأبحثُ عنْ مسيحيٍّ

سأهاجرُ إلى بلدِ الكنيسةِ

وماذا عنكَ؟ قلتُ:

سأرحلُ أيضًا عنْ بلدٍ

اصطادَني فيها الفقرُ فريسةً

يضمُّني وأضمُّهُ

قدْ نلتقي أو لا نلتقي

فيقول: احفظْ مسيحَكَ

احفظْ كتابَكَو حديثَكَ

سلامٌ عليكَ منْ تحيةِ الإسلامِ

فيقولُ:

إلهُ السلامِ معَكمْ أجمعينَ

آمينَ

أنا بائعُ الوردِ

موسوعةُ الأزهارِ لغتي

عشٌّ صغيرٌ بينَ الزنابقِ بيتي
لي كبرياءُ القرنفلِ الأحمرِ
ولاءُ الأقحوانِ
شوقُ شقائقِ النعمانِ
ولعُ زهرِ الشمسِ
في مراقبةِ ضوءِ الأملِ

كان حظي أنْ أبيعَ الحبَّ
في زهرِ البنفسجِ
ومنَ الياسمينِ الطوقَ أنسجُ
أنْ أغارَ على الداليا منْ زهرِ القرنفلِ
أنْ أحزنَ عندما أرى الأوركيدَ تذبلُ

وأنْ أنزعَ الشوكَ منْ وردةٍ حمراءَ
فتدمى يدي، تشربُ منْ دمي
تزدادُ نعومةً واحمرارًا
فلا أفسدُ للعاشقينَ
الهائمينَ دفءَ اللقاءِ

وأعلِّمُ العاشقينَ لغةَ الوردِ والعددَ
الوردةُ الواحدةُ: أنتِ لا غيرَكَ
وردتانِ تتعانقانِ: كونُكِ معي.. لنْ نفترقَ
ثلاثُ ورداتٍ حائراتٍ: متى اللقاءُ؟
أربعٌ: أفي بالوعودِ
خمسٌ: لا مستحيلَ ونحنُ معًا
ستٌّ: سأُخلِصُ بلا حدودٍ
سبعُ ورداتٍ: أحبُّكِ كثيرًا

حتى العاشرةِ
متى سأحضرُ يا حبيبي؟

خاتمُ الذهبِ
أنا ابنُ عروسِ البحرِ
تشابهتُ أنا والبحرُ
في الهياجِ وقتَ الخطرِ
في الهدوءِ أحيانًا رغمَ الضجرِ
في تأثيرِ القمرِ
في المدِّ والجزرِ
وانتظارِ المطرِ
وما يدورُ في الأعماقِ
منَ الصراعاتِ
منْ قصصِ الخيرِ والشرِّ

ليتَ لي مثلَكَ، أيُّها البحرُ
ذاكرةُ الرمالِ
وشاطئُ أوبرَ
فيقولُ: ليتَ لي ملحًا
كملحِ دمعِكَ
ليتَ لي ظلًّا كظلِّكَ
ليتني أحملُ جوازَ السفرِ
كانَ حظي
أنْ أدرسَ العقاقيرَ والسمومَ
وأنْ أقرأَ الأساطيرَ وقصصَ الحبِّ
وأنْ أدخلَ دواوينَ الشعراءِ
كانَ قدري أنْ أغتربَ
فيصبحَ الموتُ خبرًا عابرًا
والفرحُ أثرًا فاترًا

أنْ أفتحَ بابًا للمجهولِ

ألَّا أفقدَ ذاكرتي

كما مسحتُ ذاكرةَ الهاتفِ المحمولِ

وأنْ أصابَ بداءِ الخوفِ

أنْ أخافَ الحبيبةَ الأولى

وأنْ أهربَ منَ الثانيةِ

أنْ أحسبَ العمرَ بالذكرياتِ

السنةُ الأولى: اسمُ حبيبتي

وما تركتْهُ على زجاجِ سيارتي

منَ الجواباتِ

وإيماني بالحظِّ

وما سطرَهُ القدرُ منْ رواياتٍ

السنةُ الثانيةُ:

منْ حرفينِ

ميمِ المحبِّ المغادرِ

المجنونِ والمفتونِ

بأجملِ زهورِ النساءِ

وياءِ اليقينِ باستحالةِ اللقاءِ

السنةُ الثالثةُ:

قبلةٌ قبيلَ السفرِ ببضعِ ساعاتٍ

ودمعةٌ تقولُ

لنْ أنساكَ مهما طالتِ المسافاتُ

الرابعةُ:

رحلةُ الطائرةِ

وختمُ جوازِ السفرِ

كانَ حظي

أنْ أهزمَ شيطاني في المرةِ الأولى

ويهزمُني في الثانيةِ
هزمتُهُ حينَ تابتْ على يدي الغانيةُ
قالتْ لي : ليتَ أيامي مثلُكَ
عليَّ حانيةٌ
وهزمَني حينَ أغويتُ العرافةَ العجوزَ
التي قالتْ لي :سيلمعُ نجمُكِ
في سبعِ سنواتٍ تاليةٍ

كانَ حظي
ألَّا أرى أثرَ الحضارةِ
إلا في الحجارةِ
أنْ تحترقَ الشامُ
وتبكيَ القاهرةُ
وفقدتُ أثرَ الحقيقةِ

في العيونِ الحائرةِ
رحلةٌ نحوَ القبورِ
قدْ تجيبُ الأسئلةُ
أخبريني أيتُها القبورُ
ماذا يقالُ وما يدورُ
فتقولُ:
تحتَ الترابِ
تساوى الشهيدُ والعميدُ
كلاهما يبكي أوزارَهُ
يقولُ العميدُ:
ليتني ما أطلقتُ النارَ
ليتني ما نفذتُ الإشارةَ
فيقولُ الشهيدُ:
لمْ تقتلْني الرصاصةُ

بلْ قتلَني مَنْ هتفَ للظلمِ
وأنصارُهُ
ليتني ما هتفتُ يومًا
وما أغوتْني الكرامةُ
ليتني ما حلمتُ يومًا
وما أشعلتُ الشرارةَ
فيقولُ العميدُ :
اختلَفوا علينا؛ مَنِ الشهيدُ
ومَنِ الفقيدُ
والآنَ نُنسَى بينَ الترابِ
والحجارةِ
ومنْ سوءِ حظي
أنَّ القصيدةَ لمْ تنتهِ
لكنِ انكسرَ القلمُ

فالجهلُ يبني البيوتَ

والظلمُ يبني هرمًا

والحزنُ لحنُ القلوبِ

والفرحُ صنمٌ

الظلمُ بركانٌ يثورُ

يقذفُ علينا الحممَ

ولمْ أعرفْ

مَنِ الراعي

مَنِ الذئبُ

ومَنِ الغنمُ

****

«أحلامٌ علَى رفوفِ الذاكرةِ»

الحلمُ الأولُ (وطنٌ)

وطنٌ بلا كُرهٍ وبلا عفنٍ
الغانياتُ تائباتٌ
الرذيلةُ بلا ثمنٍ
الصلواتُ للهِ وللهِ الوطنُ
الخضرةُ والوجهُ الحسنُ
في الشوارعِ
وعلى الأعمدةِ عدلٌ
يدفئُ الأفئدةَ
في ليالي الفقرِ الباردةِ
يا وطنُ

أحببتُكَ طفلًا وتركتُكَ رجلًا
وسأعودُ لكَ في كفنٍ

الحُلمُ الثاني (السلامُ)
اسمُ اللهِ
تحيةُ الإسلامِ
أملُ الجنودِ على الحدودِ
لا انتصارَ ولا انهزامَ
براءةُ أطفالِ الخيامِ
حينَ يلهونَ بفوارغِ البنادقِ
وحينَ يرسمونَ فوقَ القبورِ
حدائقَ
وحينَ يقولونَ كلَّ الحقائقِ
نريدُ خبزًا ولعبةً

نريدُ الهدوءَ دقائقَ
وخوفُ اللِّئامِ
أنْ تنطفئَ الحرائقُ
فيعودَ الحمامُ إلى البيتِ
وتعودَ رائحةُ الزنابقِ
يا سلامُ
يا حُلمَ المُتعَبينَ الحالمينَ
أغِثْنا منَ الموتِ
ومنْ حِكمِ البنادقِ

الحلمُ الثالثُ

امرأةٌ تستحقُّ الكتابةَ
الجوهرةُ المكنونةُ في الصدفِ

تتلألأُ بضياءِ الشرفِ
عينانِ بريئتانِ لا تكذبانِ لا تخونانِ
وتنكسرانِ في الحبِّ
كقطعِ الخزفِ
امرأةُ الفقيرِ الأسيرِ
ترف،صمودك في الدنيا
يا أمَّ الوليدِ الصغيرِ
تُرضعينَ الطفلَ فرحًا
وتكتمينَ الحزنَ دهرًا
يا امرأةً تستحقُّ الكتابةَ
وكلَّ المشاعرِ
وسجدةَ شكرٍ معَ كلِّ حرفٍ
يا امرأةً تستحقُّ الحبَّ
وتستحقُّ كلَّ الأسفِ

الحلمُ الرابعُ (المعركةُ)

أعددتُ كلَّ عتادي والأسلحةِ
القلمِ والدفاترِ، والمسبحةِ
وانتظرتُ وحيدًا في ساحةِ المعركةِ
رتبتُ كلماتي كي أوقفَ المذبحةَ
فريقانِ منَ العميانِ يتناحرانِ
على الصعودِ إلى المقصلةِ
وانهزموا جميعًا
صاروا زهورًا للقبورِ
وصارتِ البيوتُ أضرحةً
وانتهتِ المعركةُ.. فيا معركةُ
لمْ أنهزمْ، ولمْ أنتصرْ، ولمْ أنتظرْ
حتى أعيدَ التجربةَ

الحُلم الخامسُ (المَوْتُ للشيطانِ)

الّذِي عَلَّمنا الانحناءَ
الّذِي أورثَنا الفقرَ
على موائدِ النصرِ الكاذبةِ
الّذِي حَرّمَ الخمرَ
وأَحلَّ الدِّماءَ
الْمَوْتُ للشيطانِ
الذِّي أورثَنا الشقاءَ
مَنْ رَبَّى في مزارِعنا الجهلَ
ولوَّثَ العقلَ
مَنْ سرقَ قوتَ الفقيرِ
وبراءةَ الطفلِ
مَنْ حجبَ الشمسَ

وحرقَ الأرضَ

وباعَ للبسطاءِ السماءَ

صكوكَ الولاءِ

الْمَوْتُ للشيطانِ

ابنِ الإِنْسَانِ

الذِّي أغضبَ الرحْمنَ

وكَذَّبَ على القرآن

الْمَوْتُ للشيطانِ

الذي علّمنا الانحناءَ

الذِّي أورثَنا الشقاءَ

****

«المهاجرُ والمسافرُ»

يقولُ المسافرُ للمهاجرِ:
لنْ تعودَ، أما أنا فسأعودُ
لديهِ الهويةُ، أعلمُ
نشيدَ الوطنِ
ألوانَ العلمِ
لغةَ أمي
وتاريخَ الجدودِ
يُكتبُ في خانةِ الهويةِ
أنا المصريُّ
ابنُ هذا النهرِ
ابنُ هذا البحرِ

أنا العربيُّ

عباءتي لغتي

وديني للعدوِّ قيودُ

أنا هوَ، هوَ أنا

ولاؤُنا لتلكَ السماءِ

وتلكَ الأرضِ

نحفظُ عهدَنا

ونصونُ الحدودَ

أنا المسافرُ

قدْ أعودُ

أنتَ المهاجرُ

لنْ تعودَ

نحنُ أوراقُ الشجرِ

مَنْ يسقطُ في الخريفِ
لا يعودُ
لي الوطنُ كاملًا

بعنائِهِ وشقائِهِ
ولكَ ختمُهُ على
جوازِ السفرِ
أنتَ المهاجرُ
وغدًا ولدُك غريبًا
عنْ كلامِنا
عنْ ضحكِنا
عنْ حزنِنا

وينسى جوازَ السفرِ

****

«سأصبحُ شخصا آخرَ»

وأنسى
أنسى ما كانَ، وما سيكونُ
سأنسى كلَّ ما فيَّ
منَ القنوطِ ومنْ خدرِ المشاعرِ

سأصبحُ شخصًا آخرَ
ينثرُ حروفًا على ورقٍ
سأعترفُ أني لمْ أكنْ شاعرًا

فالشعراءُ يا سادتي
لا يخافونَ ولا يموتونَ
شعرُنا الحيُّ فينا

صلاةٌ فُرِضتْ على كلِّ شاعرٍ
الشعراءُ أبناءُ عمِّ الحقِّ
وحيٌّ يرافقُنا أينَما كنَّا
دماءٌ تجري في عِرقِ ثائرٍ

سأصبحُ شخصًا آخرَ
سأكتفي بما كتبتُ منَ الغزلِ
وما وصفتُ منْ وهجِ المشاعرِ
ولنْ أُقبِّلَ غيرَ أمي
أمي التي علَّمتْني وأخطأتْ
وأسدلتْ على عقلي الستائرَ

أمي التي أرضعتْني عشرينَ عامًا ماءً
ولمْ أذُقْ طعمَ الحليبِ

إلا عندَما فارقتُها وارتميتُ
في حضنِ أمِّ أخي الغريبِ
وقالتْ: لكَ مثلُ ابني وعليكَ لي
أنْ أكونَ لكَ أُمًّا وطنًا
إنْ كنتَ ضيفًا وإنْ لمْ تغادرْ

سأصبحُ شخصًا آخرَ
لا يهتدي بنجمِ العداواتِ القديمةِ
كلُّ شيءٍ هالكٌ
سأزورُ أنا وأخي العدوَّ
أرضُ المعاركِ والمقابرِ
هنا ينامُ كلُّ مَنْ رحلوا
هنا النهايةُ
هنا السلاطينُ والعبيدُ

هنا نهايةُ كلِّ جائرٍ
سأصبحُ شخصًا آخرَ
امرأةٌ واحدةٌ تكفي غرورَهُ
تهدي قلبَهُ الحائرَ
كلُّ النساءِ سواءٌ
هكذا قالَ الحكيمُ العجوزُ
والسفهاءُ
وأنا سأقولُ أيضًا
كلُّ النساءِ سواءٌ
في حقِّهنَّ في الحياةِ
لهنَّ ما عليهنَّ
لهنَّ الوفاءُ
لهنَّ البكاءُ
لهنَّ كلُّ ما لهنَّ

ولنا عليهنَّ أنْ نحيا كما نشاءُ

سأصبحُ شخصًا آخرَ
وربما لمْ أكنْ ولنْ أكونَ
وربما كُنتَ أنتَ منْ يكونُ
ربما كانَ الجنونُ
أنْ يكونَ كلَّ شخصٍ آخرَ
أنْ أكونَ مصريًّا
أنْ يكونَ نصفُ قلبي فلسطينًا
ونصفُهُ الآخرُ في الجزائرِ

سلامٌ علينا وسلامٌ على حائرٍ

****

« اعتذارٌ »

سأعتذرُ، لا مفرَّ
سأصغي إلى طنينِ الحقِّ في عقلي
سأعتذرُ لكِ حبيبتي
يا أميرةَ هذا القلبِ المضطربِ
ولجسدي الهذيلِ الذي أصابَهُ العطبُ
سأعتذرُ لأبناءِ العمومةِ
والعَجمِ وكلِّ أبناءِ العربِ
سأعتذرُ لا مفرَّ
لكلِّ النساءِ اللائي واعدتُهُنَّ
سأعتذرُ للشِّعرِ
لكلِّ البشرِ وكلِّ الشجرِ وكلِّ المدنِ

حبيبتي
أعتذرُ لكِ وقدْ قُلتُ يومًا
إني لا أحبُّ الاعتذارَ
أعتذرُ عنْ قرارٍ لمْ أفهمْهُ
أعتذرُ عنِ الفرارِ
منْ جنةِ عينيكِ إلى الحقيقةِ
وعنْ قبلةٍ قطفتُها منكِ
وعنْ دفءِ حضني
عندَ وداعِ السفرِ

أعتذرُ لجسدي
عنِ المرضِ وعنْ وخزِ الإبرِ
لأَنّي فتحتُ بابَهُ للغريباتِ
وأرهقتُهُ بالحبِّ، والنساءِ، والسهرِ

أعتذرُ لجسدي
عنْ جنونِ الشَّبابِ
عنْ إدمانِهِ النومَ بالمسكِّنِ والمخدِّرِ

أعتذرُ للشِّعرِ
أعتذرُ للشعراءِ والقرّاءِ
للأقلامِ والدفترِ
عنْ شرودِ ذهني في القصيدةِ
عنْ شعري الحرِّ والمرسلِ
عنِ النثرِ أحيانًا دونَ أنْ أشعرَ
أعتذرُ للصعاليكِ والقيصرِ
إنْ لمْ تفهموا رمزي
ولمْ تشموا في قصائدي المسكَ والعنبرَ
أعتذرُ للسفهاءِ

لا وقتَ لديَّ لنقدٍ لا يفيدُ

ولا بالخيرِ يثمرُ

أعتذرُ لفلسطينَ

للقدسِ وجنينَ ، للجليلِ والخليلِ

لبقايا يافا وعكا

أعتذرُ لأَنّي لمْ أكتبْ لكِ سوى بعضِ القصائدِ

لأننا فضلنا عليك حب الموائد

لأننا شعوبٌ تحبُّ أنْ ترتاحَ قليلًا

بعدَ النهوضِ منَ التخوتِ

وتحبُّ أكثرَ دفءَ الوسائدِ

وأعتذرُ للاجئينَ

فنحنُ مختلفونَ منْ بعدِ حطينَ

هل كانَ صلاحُ الدينِ كرديًا،

أمْ منَ العربِ البائسينَ؟

****

« إسكندريةُ »

كنتُ أحكي للغرباءِ
عنْ جمالِكِ في الشتاءِ
عنْ صخبِ التأملِ في هدوئِكِ
وجنونِكَ، عندما يأتي المساءُ
كنتُ أنتظرُ الشتاءَ
لأغنيَ أغانيَ بسيطةً طفوليةً
عنْ هطولِ المطرِ
كيْ أنطلقَ عدْوًا في الشوارعِ
كيْ أغسلَ براحتي الشجرَ
كنتُ أنتظرُ الشتاءَ
كيْ يرحلَ عنْكِ الغرباءُ
كيْ تحملَ الطرقاتُ

رائحةَ اليودِ والمرحِ

وأمتلئُ سحرًا إذا
وجدتُ على تاجِكِ
ألوانَ قوسِ قزحٍ
وأحفظُ مواعيدَ غسلِكِ
كتواريخِ الأنواءِ
نوةِ المكنسةِ بدايةَ طهرِكِ
وأرتبُ ملابسي الشتويةَ
كشهورِكِ القبطيةِ
يا عروستي السابقةَ
وحبيبتي الدائمةَ
يا أجملَ إسكندريةَ

****

« جوازُ سفرٍ »

حزمتُ أمتعتي، طويتُ أحلامي
ختمتُ جوازَ السفرِ
حطمتُ مرآتي القديمةَ
زرعتُ قلبًا منْ فولاذٍ ومنْ حجرٍ
مسحتُ دمعَ أمي
وأسلمتُ لحكمِ القدرِ
فلا الأرضُ أرضي
ولمْ يرحمْني البشرُ
على سلمِ طائرتي
بلَّلَ معطفي بعضُ قطراتِ المطرِ
كأنَّ سماءَكَ تودِّعُني
في ليلةٍ بكى فيها القمرُ

ومنْ فوقِ السحابِ رأيتُكِ تشتعلينَ

كقطعةٍ منْ جمرٍ
لا الحبُّ يطفئُ نارَكِ
ولا عادَ الحقُّ فيكِ ينتصرُ
فيا لكِ منْ أرضٍ تشبهُ الهاويةَ
لا ظلَّ فيك ولا ثمرَ
أنتِ يا قمةَ الظلمِ العاليةَ
إنْ طالَ أو قصرَ النظرُ
قتلتِ أحلامي لتسرقَ غربتي
أجملَ سنينَ العمرِ
ورجلٌ صالحٌ يخبرُني :
لا وقتَ للبكاءِ
ولا تسلِّمْ نفسَكَ للسهرِ

واجعلْ زادَكَ لقيماتٍ صالحاتٍ
ولا تبدِّلْ ماءَ التمرِ خمرًا

ولا تنتظرْ أحدًا
فلا الزمانُ يرجعُ، ولا الظلمُ لنا يعتذرُ
فصوتُ البلابلِ في القفصِ صراخٌ
ولحنٌ على شجرٍ
ولنْ تسمعَ للعودِ لحنًا
إذا انقطعَ الوترُ
وكن ليثًا جسورًا
ولا تدفنْ رأسَكَ في الرملِ وقتَ الخطرِ
ولا تصنعْ مفتاحًا لقلبِكَ
وكنْ دائمًا منَ الحبِّ حذرًا
عِشْ ما عِشْتَ وحيدًا

لا شرَّ في ذلكَ ولا ضررَ
لا تكنْ مثلي؛ أحببتُ تلكَ الأرضَ
فقتلَتْني ولمْ تعتذرْ

ويحَكَ ثمَّ ويحَكَ
ما لكَ بكلِّ الحبِّ تكفرُ
سيأتي علينا يومٌ نضحكُ
ومنْ كلِّ الظلمِ نثأرُ
سأعودُ يومًا ما
في يدي رجلٌ منْ صلبي للحقِّ يزأرُ
أسميهِ آدمَ.. أعلِّمُهُ البيانَ
وقراءةَ القرآنِ وما تيسَّرَ
سنعودُ يومًا وإنِ ابتعدْنا

فسنتحررُ، فالظلمُ لا يبقى

****

البابُ الثاني

"مزمور"

« مزمورٌ »

في المهدِ كَتبتَ سلامي واسمي
في الخيرِ أمسحُ خنوعي وإثمي
ردائي صلاتي، أُشدِّدُ عظامي
أسبِّحُ في صمتي فتفهمُ كلامي
في البيتِ أبٌ وفي القلبِ ربٌّ
نَقِّني منَ الشرِّ ومنْ كلِّ ذنبٍ
خطيئتي الكذبُ ونارُ الغضبِ
لأنَّكَ أنتَ الربُّ، تعلمُ
لأنَّكَ أنتَ الربُّ، ترحمُ
لأنَّكَ يا ربُّ لا تتركُ شعبَكَ
لأنَّكَ علَّمتَني حبَّكَ وشرعَكَ
ولأنَّ عدلَكَ قضاؤُكَ

ولأنَّكَ الربُّ طرقتُ بابَكَ

يا ربِّ! يقتلُ الأشرارُ إخوتي

إخوتي الذينَ كرهوا معيَّتي

الذينَ تركوني لحمًا شهيًّا

للذئابِ بلا سببٍ

إخوتي الذينَ أحبُّهُمْ فأنا مثلُهُمْ

لولا أنَّ قدسَكَ زارَني

فعرفتُ شيئًا عن ذاتِكَ

عنْ رحمةٍ تغدقُ منْ سحبِ الحبِّ

وعنْ قدرتِكَ على العفوِ

فطوبى لرجلٍ على يديكِ تأدَّبَ

يا ربِّ

إخوتي أصبحوا حمقى

يسوقُهمُ الشريرُ مثلُ الشياهِ والغنمِ

يتأبهونَ بالإثمِ ولا يعرفونَ الندمَ
يشربونَ الدِّماءَ الزكيةَ
يأكلونَ العفنَ، يحرقونَ المدنَ
يغزلونَ منَ الفتنِ لباسًا وكفنًا
إخوتي الذينَ لمْ يرَوْا عرشَكَ
في ضوءِ الشمسِ والقمرِ
ولمْ يشكروا فضلَكَ حينَ
سيَّرْتَ لهمُ البحرَ
ولوَّثوا مياهَ الينابيعِ والنهرِ
وتقاتلوا على مزرعتِكَ
فأحرقوها وقصَوا الشجرَ

يا ربِّ
فلتكنْ رحمتُكَ مطرًا ينقيهمْ

وليكنْ عدلُكَ قدرًا يزكيهمْ
ولترسلْ لهمْ منْ روحِكَ ريحًا
تقتلعُ منْ أنفسِهمُ الشرَّ
وطيورًا تعلِّمُهُمُ الحبَّ والخيرَ
ومعجزةً يرَوْنَ فيها
شيئًا منْ قدرتِكَ وتُبطِلُ السِّحْرَ
أما أنا فقدْ أسلمتُ
عندما عرفتُ أنَّ كلَّ ما أرى
في الكونِ بشرًا، أو شجرًا، أو حجرًا
من صنيعِكَ، وأنك أنتَ الخلاصُ
مباركٌ الربُّ إلى أبدِ الدهرِ

****

« يا بنيَّ»

دعوتُكَ وأنا على فراشي
أحتضرُ
وطلبتُ منَ الموتِ أنْ ينتظرَ
قليلًا فانتظرَ
حتى أُخبرَكَ آخرَ وصايا
الغيمِ قبلَ المطرِ
للموتِ حكمةُ الأنبياءِ
ولكلِّ شيءٍ قدرٌ
انكشفَ الغطاءُ عنْ عيوني
ورأيتُ حقًّا ينساهُ البشرُ

يا بُنْيَّ
اتركِ الظلمَ كلَّهُ
كلامًا وناسًا وأرضًا
وأقمِ العدلَ في قلبِكَ
حبًّا وطهرًا وفرضًا
ليكنِ الحقُّ سيفَكَ
احمِهِ كما لو كانَ عِرضًا
واحترسْ دعوةَ المظلومِ
فتأمنَ اللعناتِ مرضًا

يا بُنْيَّ
لا تدفنْ حبَّكَ في ثنايا جسدٍ
ولا يُذهبُ عقلَكَ خمرُ نهدٍ
أحبِبْ كلَّ ما في الوجودِ

وامنعْ ناظرَيْكَ منَ الحسدِ
ولا تَنْسَ ربَّكَ غافلًا
حبُّ الجسدِ طريقُ المسدِ
ولا تقطفْ زهرَ امرأةٍ
إلا كنتَ لها عونًا وسندًا

يا بُنْيَّ
ستكبرُ فيكَ الرجولةُ
كلما حضنتْكَ أمُّكَ
وستحسبُ عمرَكَ يومًا
منْ فضةِ شعرِ أمِّكَ
وكلما كنتْ محتارًا
تأنَّ واتبعْ قلبَ أمِّكَ
وتذكَّرْ أنَّ أبوابَ السماءِ
تفتحُها دعواتُ أمِّكَ

يا بُنْيَّ

اقرأْ ثمَّ اقرأْ ينحسرِ الظلامُ

واحترسْ منَ السمِّ في عسلِ اللئامِ

وإنْ لمْ تجدْ عالِمًا وشيخًا

وكثُرَ مَنْ يبيعونَ الكلامَ

دعْكَ منهمْ وسبِّحْ بحمدِ ربِّكَ

وطِرْ سلامًا كسربِ الحمامِ

وعُدْ لعشِّكَ غانمًا سالمًا

وقلْ لولدِكَ إنَّ الدليلَ

كتابُ ربِّكَ وسنةُ خيرِ الأنامِ

****

« يا جدي »

أريدُ أنْ أَكْبَرَ
أنْ أخرجَ وحدي
أنْ ألامسَ السحابَ
وأنْ أُعَانِقَ الشجرَ
يا جدّي
أحبُّ حكاوي مسائِكَ
عنِ الثعلبِ
والمعزاتِ الثلاثِ
والسندبادِ
وقصصِ الأجدادِ
وعنْ طفلٍ
يتيمٍ أمينٍ

كانَ يرعى الغنمَ

فأصبحَ نبيَّ اللهِ

وخيرَ البشرِ

وعنِ الجنودِ

الّتي ماتتْ

منْ أجلِ الوَطَنِ

وعنِ الساحراتِ

والأميراتِ

وعنْ نهايةِ كلِّ شرٍّ

يا جدّي

ما معنى الوَطَنِ؟

وما الموتُ؟

يا ولدي

ستخرجُ وحدَكَ يومًا

وستحكي لحفيدِكَ مِثْلي
فلكلِّ شيءٍ وقتٌ وقدرٌ
الوَطَنُ يا ولدي
هُو المكانُ
الذي يحفظُ الذكرياتِ
ورائحةَ الأجدادِ
يحمينا ونحميهِ منَ الخَطَرِ
هوَ الأمانُ
والزمانُ البعيدُ والحاضرُ
الطفلُ الذي يَكْبرُ
فهلْ عرفتَ الوَطَنَ؟
نعمْ يا جدّي
الوَطَنُ هُوَ
بَيْتُنا وحَدِيقتُنا

نَعمْ يا وَلَدي
هُو البَيْتُ والحديقةُ

وغدًا شارعُنا القَديمُ
والمدرسةُ
كلما كبِرْتَ كبُرَ
حتى يصيرَ
كلَّ المدينةِ
كلَّ البشرِ
كلَّ السماءِ
كلَّ الأرضِ
وكلَّ الحجرِ
يا جدّي
وماذا عنِ الموتِ؟

يا وَلَدي

الموتُ هو الحقيقةُ

وبدايةُ الرّحلةِ

وآخرُ السّفرِ

الموتُ حياةٌ لا تنتهي

وأصدقُ منَ الدُّنيا

وأطهرُ

الموتُ خوفٌ للطغاةِ

وللضعفاءِ

أجملُ هدايا القَدرِ

الموتُ رَحْمَةُ الإلهِ

وعذابُهُ لمنْ لا يَعْتبِرُ

الموتُ رِحْلَةٌ

لا بدَّ أنْ نُعدَّ لَهَا

كلَّ الزادِ، وننتظرَ

يا جدّي

الآنَ عرفتُ أينَ أبي

فقدْ قَالَتْ لّي أمي

إنَّهُ سافرَ

للسماءِ

للقاءِ ربِّ البشرِ

****

« المصباحُ السحريُّ»

على حافةِ الليلِ
يتحسسُ جيبَ
سِروالِهِ المقلوبِ
يشدُّ ما تبقى
منْ رباطِ حذائِهِ المثقوبِ
تلمعُ قطراتُ العرقِ كالندى
على جبينِهِ، يشدُّ أسرَ حنينِهِ
إلى البيتِ والولدِ
يسيرُ هائمًا في الملكوتِ
ويَنسَى تعبَ الجسدِ
ويقولُ لكلِّ الشكرِ يا ربي
ولكَ الرِّضا والحمدُ

أنتَ الغَنِيُّ

أنتَ ربُّ المستضعفينَ
أنتَ كما سميتَ نفسَكَ
واحدٌ أحدٌ لا شريكَ لكَ
أنتَ العونُ وخيرُ السندِ
يا مجيبَ الدعاءِ
يا نصيرَ الفقراءِ
دِرهمانِ لا يكفيانِ
كيسًا منَ الخبزِ
ولعبةً صغيرةً
تُفرِحُ قلبَ الولدِ
سأرتاحُ قليلًا
فقدْ تعبتُ منَ السيرِ

حتى يأتيَني المددُ

يلمعُ تحتَ قدميهِ شيءٌ

يجدُ مصباحًا قديمًا

أيُّها الربُّ شكرًا

سأشتري خبزًا

والمصباحُ القديمُ لعبةُ الولدِ

سأمسحُ المصباحَ حتى يعودَ بريقُهُ

فغدًا نلعبُ معًا في عطلةِ يومِ الأحدِ

يمسحُ فيخرجُ لهُ منَ المصباحِ

ماردٌ

يقولُ لهُ: السلامُ عليكَ

أنا أميرٌ منْ مملكةِ الجانِّ

عصيتُ اللهَ

فحبسَني الملكُ في

المصباحِ، سأصبحُ حرًا
إذا أوفيتُ لرجلٍ صالحٍ
أمنيةً أو وعدًا

لكَ ما تطلبُ وعليَّ الطاعةُ
ما دمتَ لنْ تؤذيَ أحدًا
يقولُ الفقيرُ:
خذني إلى بلدٍ آخرَ
يكونُ فيهِ العدلُ خبزًا
يسندُ قلبَ الجياعِ
ويكونُ الحقُّ حجرًا
يكسرُ سنَّ الضباعِ
ويكونُ الملحُ دواءً
يكسرُ سُمَّ الأفاعي

ويكونُ الليلُ سترًا

يحمينا كأبوابِ القِلاعِ

والحبُّ فيه ماءٌ

يروي ظمأَ الصحاري

والعلمُ فيه قمرًا

يضيءُ دروبَ البراري

ويكونُ الدينُ نهجًا

يفكُّ ذُلَّ الحصارِ

يفركُ الماردُ جبينَهُ

ويقولُ: أيُّها البشريُّ

لمْ أجدْ هذا البلدَ

فلتطلبْ مالًا أو بيتًا أو ذهبًا

أوْ جاهًا وسلطانًا

أوْ أيَّ شيءٍ منْ متعِ الجسدِ

وإلا فسأرجعُ هذا المصباحَ
لنْ أصبَح حرًّا وأعودُ عبدًا
فيقولُ الفقيرُ:
لا أريدُ غيرَ هذا البلدِ
أنتَ حرٌّ، لكَ الأمانُ والسلامُ

وأنا لي المصباحُ يكفيني
لعبةً تفرحُ قلبَ الولدِ

****

« الباحثونَ عنِ الربِّ»

عنْ نورٍ لا يبدِّدُهُ الليلُ
عنْ حبٍّ يطولُ ولا يُمَلُّ
عنْ إيمانٍ لا يناقضُهُ العملُ
عنْ زهرٍ خفيٍّ مشبعٍ بالأملِ
في حكمةِ مملكةِ النملِ
وهندسةِ النحلِ
وصبرِ الإبلِ

الباحثونَ عنِ الربِّ
في عدلِ هذا الكونِ
في هلاكِ الطاغيةِ
وحسنِ هذا الكونِ
في التضادِّ والتثنيةِ

الباحثونَ عنِ الربِّ
مَنْ يهدمونَ الوثنَ
مَنْ يقرؤونَ الزمنَ
يحبونَ سرَّ الحياةِ
ولا يخافونَ الكفنَ

الباحثونَ عنِ الربِّ
ينتظرونَ ما بعدَ المزمورِ
الخمسينَ بعدَ المئةِ
والأسفارِ السبعةِ

ما بعدَ الإصحاحِ الثامنِ والعشرينَ
ما بعدَ الجزءِ الثلاثينَ
ما بعدَ التراتيلِ
ما بعدَ الصلواتِ الخمسةِ

لا شيءَ سوى أنْ تفهمَ
لا شيءَ سوى أنْ تحلمَ

الباحثونَ عنِ الربِّ يبحثُ عنهمْ

****

« ما زالَ في قلبِكِ المجروحِ »

ما زالَ في قلبِكِ المجروحِ
متسعٌ للحبِّ رغمَ الظلامِ
أحرقيني؛ كي أضيءَ لكِ دربًا جديدًا
فما زالَ في يديَّ بعضُ الشموعِ
وجنونٌ بينَ الضلوعِ
وحنانٌ يورقُ لكِ ألفَ عيدٍ وعيدٍ

ما زالَ في قلبِكِ العنيدِ
مزيدٌ منَ الصبرِ
وهيكلٌ مزعومٌ يسجدُ لهُ العاشقونَ
في الجهرِ والسرِّ

ما زالَ في قلبِكِ شيخٌ
يؤمُّ كلَّ الخائفينَ منَ القهرِ
يؤمُّ الحجرَ والزهرَ والنهرَ

ما زالَ في قلبكِ المتسارعِ
دقاتُ جرسٍ نحاسيٍّ
صورةُ العذراءِ
وقداسٌ شجيٌّ

ما زالَ في قلبِكِ متسعٌ للحبِّ
لشيخٍ ورجلٍ وصبيٍّ

****

البابُ الثالثُ

"لن أكتب التاريخ شعراً"

« لنْ أكتبَ التاريخَ شعرًا »

لا أريدُ الدمَ حبرًا
سأكتفي بروايةٍ نثريةٍ
عنْ أميرةٍ حنطيةٍ
عنْ ألوانِ العلمِ
أبيضَ وأحمرَ
أسودَ وأخضرَ
عنِ الكوفيةِ
عنْ أرضٍ زادَها الإسراءُ فخرًا

عنْ أغنيةِ الصمودِ
على وطنٍ سوفَ يعودُ
لحنٌ بلا نايٍ ولا عودٍ

لمْ يشُدَّ لهُ العازفونَ وترًا
عنْ أرضِ الميعادِ
ومهدِ الميلادِ
عنِ الأرضِ المقدسةِ
والضفتينِ الحائرتينِ
عنْ قطاعٍ ينفثُ ضجرًا

عنْ زفافِ الشهيدِ
ابنِ الشهيدِ العنيدِ
في جنازةٍ بلا غسلٍ
برائحةِ المسكِ
عنْ ستِّ صلواتٍ
وأبٍ يمسحُ دمعَهُ
ويقولُ للأمِّ صبرًا

عنِ الأكاذيبِ والألاعيبِ
عنِ البداياتِ والنهاياتِ
عنِ الخياناتِ والرواياتِ
خيرًا كانَ حديثُهُمْ أو شرًّا

عنِ اثنَيْ عشرَ رسولًا
مرُّوا منْ هنا
عنْ قصائصِ الإنجيلِ
والعُلوَينِ الكبيرينِ
عنْ ملكِ سليمانَ
عنْ وعدٍ لمْ يكنْ سرًّا

لنْ أكتبَ التاريخَ شعرًا
لنْ أزيدَ الشعرَ وزرًا

كيْ لا يقولَ لي ولدي:
وماذا فعلتَ؟ ألمْ تكنْ رجلًا

****

« سآتي إليكِ يوما »

سآتي إليكِ يومًا
في صدري مفتاحُ الدارِ
وفي يدي بندقيةٌ
سأعصرُ على أرضِكِ الزيتونَ
وأشربُ قهوتَكِ العربيةَ
لنْ أهزَّ فنجاني
زيديني حتى تشرقَ
أشعةُ فجرِكِ الذهبيةُ
واقرئي قصائدَ درويشَ
حتى أشمَّ في الصبحِ
رائحةَ الخبزِ الزكيةَ
بدِّلي ملابسي

أعطيني الدمايةَ والكوفيةَ
ولا تسألي مَنْ أنا
فأنا عربيٌّ إسلاميُّ الهويةِ
وهذا أخي منْ بغدادَ
أرضُ الأمجادِ
وهذا صهري منَ اللاذقيةِ
وهذا شريفٌ منْ ديارِ مكةَ
وهذا وِلدُ زايدٍ
شيخِ القبائلِ العربيةِ
ومَنْ يحجبونَ قرصَ الشمسِ
خلفي، خيرُ جندِ الأرضِ
منْ أبٍ وأمٍّ مصريةٍ
سأصلي في الأقصى
وأشربُ منْ يديكِ

رشفةَ ماءٍ هنيةً
وأصولُ على أرضِكِ
منْ إيلاتَ إلى طبريةَ
صيحةُ الحقِّ تخرجُ
منْ فمي ريحًا عاتيةً
وأقتلعُ بيدي الغرقدَ
ويفرُّ مني الطاغيةُ
تتهاوى مملكةُ الظلمِ تحتي
كأعجازِ نخلٍ خاويةٍ
وإنْ متُّ على أرضِكِ
فموتي حياتي الباقيةُ
كما وعدَني ربي
جنةً عاليةً قطوفُها دانيةٌ

سآتي إليكِ يومًا

فرابطي، كما رابطتِ

عقودًا ماضيةً

انتظريني كلَّ يومٍ

منَ البكورِ إلى العشيةِ

وإنْ لمْ آتِ فلا تقلقي

فقدْ أنجبتُ لكِ منَ الرجالِ

ثمانيةً

أكبرُهُمْ يحملُ مفتاحَ الدارِ

وأصغرُهُمْ يحفظُ القضيةَ

انتظريني يا خالةُ

وأخبري المختارَ أنكِ قضيَّتي الأزليةُ

فلسطينُ عربيةُ الهويةِ

****

«رسالةُ محاربٍ أيارَ ١٩٤٨»

المكانُ: ديرُ البلحِ / فلسطينُ

الزمانُ: يوليو ٢٠١٤

آهِ منْ وجعي

آهٍ وآلفُ آهٍ على البلدِ

جاوزتُ السبعينَ منْ عمري

وعدوي ينامُ في داري

سرقَ الأرضَ

قتلَ الولدَ

نارٌ دمارٌ حصارٌ

أينَ وعدُكَ

يا ربي

لمْ يعدْ لي غيرُكَ سندٌ
ستونَ عامًا مضتْ
ولمْ يأتِ أحدٌ
الأقصى جريحٌ
والعربُ تسبحُ في الزبدِ
يا ربي
أتيتُكَ باكيًا
ابتعدتُ عنِ المدينةِ
كي لا يرى دمعي
أحدٌ
فأنا الشيخُ الذي
يشدُّ لهمُ الأزرَ والوتدَ
يا ربي
أرسلْ ملاكَ الموتِ لي

فقدْ تعبتُ منَ القهرِ
وتعبتُ منَ الكَبَدِ
سأرتاحُ قليلًا
حتى يأتيَني الفرجُ
ينامُ العجوزُ قليلًا
ويصحو على صوتِ
هدهدٍ
يحفرُ في الأرضِ
فيجدُ العجوزُ
مصحفًا
ورسالةً
يقرأُ
يا منْ تجدُ الرسالةَ
أوصيكَ أنْ تصلَ

نصفُ الرسالةِ

إلى أمي

ونصفُها الآخرُ

إلى جلالةِ الملكِ

وأنْ تحملَ جسدي

إلى الأقصى

وأنْ تصليَ عليَّ الجنازةَ

جلالةَ الملكِ

أنا الملازمُ أحمدُ بنُ محمدٍ

بنِ عبدِ الصمدِ

منَ السريةِ الأولى

منْ جيشِ مصرَ

جيشِ جلالةِ الملكِ

جلالةَ الملكِ
أرسِلْ لنا المددَ
إنَّ الجنودَ ماتتْ
وبعضَ المدافعِ خانتْ
وبعضَ البارودِ لمْ يشتعلْ

جلالةَ الملكِ
إنَّ العدوَّ جبانٌ
لكنَّهُ كثيرُ السلاحِ والعددِ
إنَّ العدوَّ مدرَّبٌ
يحفظُ الأزقةَ والدروبَ
ويهاجمُ منْ خلفِ الشجرِ

جلالةَ الملكِ

أرسِلْ لنا العتادَ والعددَ

فلسطينُ لنا

كُنا أسودًا في الجنوبِ

حفظَ اللهُ جلالةَ الملكِ

يا أمي أنا أحمدُ

أنا ابنُكِ البكرُ العنيدُ

يا أمَّ الشهيدِ

أنا الشهيدُ

أنا في خيرِ الأرضِ

أنا لستُ وحيدًا

أنا في صحبةِ

خيرِ البشرِ

يا أمي إني أحبُّكِ

ولكني أحبُّ أكثرَ عروبتي

وبلادي

يبتسمُ العجوزُ

يا ولدي لمْ يأتِ أحدٌ

أما وصيتُكَ فأنا لها

حفرَ الشيخُ

حتى وجدَ الجسدَ

يا أحمدُ سأحملُكَ

إلى الأقصى

شهقَ العجوزُ

ونامَ بجوارِ أحمدَ

نامَ إلى الأبدِ

****

« سوريةُ الحلمُ »

كانتْ لنا ضيعةٌ

وحِلمٌ صغيرٌ فوقَ التلالِ

نصحو على صوتِ الحمّامِ

نجمعُ فرحَنا في السِّلالِ

كانَ لنا ريفٌ وشامٌ

ودبكةٌ وخويتمُ بوكمالٍ

لبلادِنا ألفُ وجهٍ

ألفُ حالٍ

ألفُ معنًى للظلالِ

لبلادِنا سبعةُ أعراقٍ

وعَلمٌ واحدٌ

وطربوشٌ وشالٌ

كان ترابُنا ذهبًا

وفقيرُنا عفَّ السؤالِ

كانتِ النعوشُ سعيدةً

تضاءُ لها المشاعلُ

كنّا بعدَ العدمِ أولَ المدنِ

كنّا للزوالِ زوالًا

في سماءِ بلادِنا حبٌّ

يحتضنُ الصليبَ والهلالَ

لبلادِنا لغةُ المسيحِ

آراميةٌ، ومعجزاتٌ جِلالٌ

سارَ المسيحُ على البحيرةِ

بنينا الكنائسَ فوقَ الجبالِ

لبلادِنا دينُ محمدٍ حبًّا

وسِلمًا بغيرِ اقتتالِ

لبلادِنا اسمٌ ومعنًى
فالجدُّ سامٌ وكعبتُنا شِمالٌ
لبلادِنا حلمُ السلامِ
وكلُّ السلامِ محالٌ
يأتونَ منْ كلِّ صوبٍ
يتقاتلونَ
أيُّ عهرٍ وانحلالٍ
لبلادِنا جُرحٌ عميقٌ
رائحةُ الصديدِ
ولنا حبُّ الحياةِ والجمالِ
نداوي الجرحَ يومًا
فسوريا لنْ تقبلَ الاغتيالَ

****

« يقولونَ: ذهبَ ليعانقَ القمرَ»

يقولونَ : لمْ يودِّعْ أحدًا
كانَ يحملُ في يديهِ بندقيةً
وفي جيبِهِ الخلفيِّ
ثلاثَ ورقاتٍ
منْ حبيبتِهِ، وأمِّهِ، وأخيهِ
يقولونَ : لمْ يتأخرْ يومًا عنْ قطفِ العنبِ
ولمْ يتكلمْ كثيرًا عنِ الحبِّ
لكنَّهُ أحبَّ ترابَ الوطنِ المتناثرَ
منَ المحيطِ إلى الخليجِ
يقولونَ : رُبما ماتَ
رُبما لنْ يعودَ
ذهبَ ولمْ يعدْ

وأمُّهُ تقولُ لنا: لنْ يتأخرَ

حتى ماتتْ

فاحتضنتْهُ وأخبرتْهُ

أنَّ حبيبتَهُ تنتظرُهُ وأنَّ أخاهُ أتمَّ البناءَ

وأنَّ الوطنَ لمْ ينتصرْ

سننتظرُ حتى يأتوا جميعًا هنا

أو يأتي إلينا الخبرُ

يقولونَ: ذهبَ ليعانقَ القمرَ

ماتَ الشهيدُ

****

« نشرةُ الأخبارِ »

قبلَ صلاةِ الفجرِ
اليومُ الأولُ
العامُ الخامسَ عشرَ
بعدَ الألفيةِ الثانيةِ
السيداتُ والسادةُ
الأمراءُ والملوكُ
الفقراءُ والبسطاءُ
أصحابُ السعادةِ
انطفأتْ نارُ الحربِ
أفراحٌ في الشامِ
رائحةُ اليبرقِ في حلبٍ
جفَّتْ دموعُ كربلاءَ

بغدادٌ تلمعُ كالذهبِ
عادَ الجنودُ إلى البيوتِ
ماتَ الطغاةُ منَ التعبِ
هُنا القاهرةُ
إحدى المدنِ الساحرةِ
العدلُ يكتبُ اسمَهُ
في السجونِ الشاغرةِ
العلمُ يبني مجدَهُ
يهدي القلوبَ الحائرةَ
الفقرُ راحَ زمانُهُ
بسطَ الحزينُ سرائرَهُ
في القدسِ
صوتُ الآذانِ والجرسِ
مهدُ المسيحِ بلا نجسٍ

أقمِ الصلاةَ شاكرًا
لـمْ يعدْ في الأقصى حرسٌ
السيداتُ والسادةُ
الأمراءُ والملوكُ
الفقراءُ والبسطاءُ
أصحابُ السعادةِ
هذا هو الموجزُ
والتفاصيلُ كاملةٌ
في حسنِ العملِ
وحبِّ العبادةِ
إلى اللقاءِ
نشرةُ الأخبارِ

****

البابُ الرابعُ

"صورتان"

« قمةُ التلِّ »

سأصعدُ إلى قمةِ التلِّ
إني تعبتُ ولمْ أعدْ أحلمُ
لكني أذكرُ أحلامَ الطفولةِ
لا أعرفُ كمْ نفسًا تبقَّتْ
لأكتبَ قصةَ آخِري
أمثِّلُ فيها دورَ البطولةِ
جسدي متعبٌ منْ شبابي
وقلبي غارقٌ في الكهولةِ
سأصعدُ إلى قمةِ التلِّ
وحيدًا كي أراني بعيدًا
وأرى الوجودَ وما عليهِ
صغيرًا لا حزينًا لا سعيدًا

فلمْ يلحظْ أحدٌ غيابي
ولمْ ينتبهْ إلا ولدي وحيدًا
سأصعدُ إلى قمةِ التلِّ.
كي أقتربَ منَ الضوءِ قليلًا
فأرى روحي التي تاهتْ
وأرى نفسي التي قالتْ
كنْ قويًا كالأسودِ في صمتِها
وزئيرِها إذا نادتْ
وكنْ لينًا كالورودِ
فلا تنكسرْ إذا الريحُ هاجتْ
سأصعدُ إلى قمةِ التلِ
حافيًا عاريًا لا شيءَ يسترُني
غيرُ السماءِ.
أسمعُ أنينَ الآخرينَ حولي والبكاءَ

وأسألُ : أينَ أنتمْ؟ لا أراكمْ
نحنُ مثلُكَ
لا نرى شيئًا غيرَ أنفسِنا
وننتظرُ الدعاءَ

سأصعدُ إلى قمةِ التلِّ

****

« واقعكَ الغريبُ »

واقعُكَ الغريبُ خيالُهُمْ
وقلبُكَ المكسورُ حلمٌ استعصى عليهمْ
وشعرُكَ المنثورُ دليلُ غُربتِهِمْ
غُربةُ الحائرينَ الحالمينَ
ووحشةُ البعدِ
ورغبةُ حبٍّ تأسرُهُمْ
ويأمرُهُمْ بالبعدِ، باللعبِ بالنارِ
واقعُكَ المجنونُ خيالٌ
استعصى عليهمْ
آهٍ ثمَّ آهٍ لو يدرونَ
ثمنَ كلماتِكَ.. ثمنَ اغترابِكَ مرتينِ
غربتينِ ورُبما أكثرُ

ولمْ تشعرْ
غربةَ وطنٍ جفاكَ
واستراحَ إليهمْ
غربةَ حبيبتينِ وصديقتينِ
ودَّعتاكَ وصارتا إليهمْ
غربةً يحسدُكَ الغريبُ عليها
وقلبٌ مجروحٌ
يقولون: ليتَ لنا مثلَهُ
واقعُكَ مرادُهُمْ، كلامُهُمْ
لو يدرونَ لقالوا عنكَ بطلًا
كيفَ لهُ أنْ يبتسمَ
كيفَ يعيشُ ولا يبالي
وكيفَ يكونُ جنونُهُ سحرًا
وكيفَ يكونُ ما سيكونُ

وكلُّ ما أتى وما سوفَ يأتي
ماضيهِ وحاضرُهُ
صورُ الراحلينَ والراحلاتِ
وكيفَ يكونُ كلُّ ما سبقَ
قصصًا ترويها شعرًا
واقعُكَ الغريبُ خيالُهُمْ
وأنتَ أنتَ لا تبالي

****

« حوارٌ معَ كأسٍ »

سأكسرُ هذا الكأسَ، وأنسى
فلا يأسَ يشفي أثرَ يأسٍ

لمْ يعدْ في الكأسِ منفًى
ولمْ يعدْ في النسيانِ بأسٌ

كلما أفرغتُ كأسي، تجلى
قالَ: هيا أُعلمْكَ اليومَ الدرسَ

لا تَترُكِ الظالمَ وتلومَ الضحيةَ
أتتركُ الخمرَ؟ وتلعنُ الكأسَ

أخافُ أنْ أدعوَ على الظالمِ
فأكونَ أنا، ويومًا لمْ أُحسَّ

والخمرُ ليلٌ منْ جنونٍ
سحرٌ من شيطانٍ ومسٌّ

أما الكأسُ فضعيفٌ ونحنُ
نحبُّ أنْ نكسرَ ضعفَ نفسٍ

****

« صورتانِ »

صورةٌ على حائطِ بيتِ أهلي
وصورةٌ حيةٌ لي في المرآةِ
صورتانِ لا يجتمعانِ إلا
في قلبِ أمي وفي الرؤى
غريبتانِ عني، عنْ شكلِ روحي
وعنْ عمرٍ لا أعرفُ مداهُ
كظلٍّ على جدرانِ بيتي
كشبحٍ يفتشُ عنْ صداهُ
صورتانِ حائرتانِ
وحائطانِ متقابلانِ
منْ دونِ سقفٍ يحتضنُ الزمانَ
صورتانِ بعيدتانِ لا يلتقيانِ

إلا في وداعِ الأحبةِ والمكانِ
صورةُ الأمسِ البعيدةُ
صورةُ اليومِ الغريبةُ
صورةٌ كنتُ أملكُها
وأخرى صرتُ أتبعُها

تقبِّلُ أمي صورتي قبلَ الفطورِ
وتضمُّها إلى صدرِها
وتقولُ: لوْ كانَ لي سحرٌ
لأحييتُها
ولوْ كانَ لي دعوةُ المظلومِ
لربحتُها
ولوْ كانَ لي عذرٌ في البكاءِ
فهوَ صورتُكَ القديمةُ وظلُّها

أشعرُ دفءَ حنانِها

أشمُّ عطرَ فؤادِها

فترتبكُ صورةُ المرآةِ

في جسدي

وتقولُ لستُ أنا أنتَ

هذا ليسَ وجهَكَ

أنا لستُ شكلَكَ

أنتَ كما كنتَ

على حائطِ بيتِ أهلِكَ

فلا تغِبْ كثيرًا

واذهبْ لأمِّكَ

****

« زارتني في المنامِ »

زارتْني في المنامِ
هادئةً حانيةً
وعاتبتْني، قبَّلتْني، وسألتْني:
لماذا لَمْ تعُدْ؟
ارتبكتُ، أصابني الجمودُ
وعندما تكلمتُ اختفتْ

زارتْني في المنامِ، ثانيةً
حافيةً، عاريةً
على شعرِها تاجٌ من فلٍّ أبيضَ
كانتْ في عينيها ابتسامةٌ
وعندما ابتسمتُ لها، بكتْ

واختفتْ
وزارتْني في المنامِ
لكنها كانتْ صبيةً
رقيقةً مثلَ الفراشاتِ على
قلوبِ الزهرِ
كالندى بعدَ رياحِ الخريفِ
الشماليةِ
وعندما لامستُ جدائلَها
تراجعتْ، واختفتْ

أنتظرُها كلَّ ليلةٍ حلمًا
قويةً، ضعيفةً أوْ ضحيةً
ملاكًا بريئًا أوْ جنيةً
أميرةً، راهبةً أوْ غجريةً

في منامي أموتُ شوقًا
وتكونُ هي روحي الحيةَ

****

« رسائل لم تعد صالحة للسفر »

حبيبتي
رسائلي لمْ تعدْ صالحةً للسفرِ
وأحلامي كلُّ أحلامي
مسجونةٌ خلفَ قضبانِ القدرِ
حبيبتي.. علَّمني صدرُكِ
أنَّ الحنينَ أسطورةٌ
وأنَّكِ أنتِ أسطورةُ كلِّ البشرِ
وألَّا أنتظرَ شيئًا منْ ضوءِ القمرِ
الذي ينسابُ منْ عينيكِ
وأنْ أرفضَ الانتحارَ وأنْ أنتظرَ
فرُبما استطعتُ أنْ أعيدَ شريطَ الذكرياتِ
وأنْ أحتضنَ الصورَ

علَّمني حبُّكِ ألَّا أطاردَ البسيطاتِ
منَ النساءِ ولا الرخيصاتِ
وأنْ أتركَ الخمرَ
فليسَ للخمرِ بعدَ عينيكِ سحرٌ
حبيبتي
سامحيني إذا أفرطْتُ في حبِّكِ واختفيتُ
سامحيني بقلبِ الحبيبةِ
التي ذابتْ في مقلتي
وبصبرِ الحقيقيةِ التي سرقتْ أفراحي
وودَّعتْني بقبلتينِ
وبعمقِ سرِّي يا سرَّ أسرارِ حياتي
يا حبيبتي يا ضحيةَ
هذا الزمنِ
حبيبتي

إنَّ الحنانَ صفةٌ منْ صفاتِ الملائكةِ

وأنتِ مليكتي المتفردةُ

على عرشِ حبي

وأنتِ بركانٌ يثورُ كلما تملَّكَني الضجرُ

علَّمني حضنُكِ أنَّ الحياةَ بسيطةٌ

وأنْ أعيشَ حياةً لمْ أرَها

إلا في قصصِ الشعراءِ

أنَّ البكاءَ ألمٌ وشفاءٌ

أنْ أبتعدَ عنْ عينيكِ لأَنّي وجدتُ أنَّ

السُحبَ في سمائي

لا تمطرُ إلا للغرباءِ

لأَنّي أحملُ داءً لا يطيبُ

لأَنّي أدمنتُ الرِّثاءَ

حبيبتي.. أنتِ كلُّ الذاهبينَ وكلُّ الحالمينَ
وكلُّ المتعبينَ وكلُّ الحنينِ والأنينِ
في قصائدَ لمْ تعدْ تُغنَّى

حبيبتي.. علَّمني حبُّكِ أنْ أنسى
العناءَ بالغناءِ
والحبَّ بكلِّ حبٍّ
وأنْ أتمنى لكِ حبًّا يضيءُ
أوراقَكِ بالندى
ويعطرُ ما بينَ حنينِكَ ورحيلِكَ بالشذى
ويرجُّ أسوارَ الحياةِ
بصوتٍ عميقٍ وبالصدى

حبيبتي.. هلْ تعلمينَ أني كالعودِ أجوفُ
وكنتِ أنتِ لحني
وإنكِ أنتِ الوترُ

سامحيني إذا سَرقَ الليلُ لحني
وإذا ذابَ الوترُ

****

البابُ الخامسُ

"فلسفة الوجع"

« فلسفةُ الوجعِ »

للأنثَى ضِعفُ الرجلِ
للأنثَى حِصتَّانِ منَ الوجعِ
كوجعِ الطُّهرِ في بلادِ الخطيئةِ
أنْ تكونَ العشيقةَ البريئةَ

وجعُ الحنينِ
الحنينِ إلى صَدْرٍ
له أُذنانِ مُصغيتانِ
وذراعانِ حانيتانِ
تحتضنانِ زهرَها وعطرَها
شمسَها وظلَّها
كأسوارِ الحديقةِ

وجعُ الصراخِ صمتًا
والموتُ خوفًا
في ليالي وحدتِها
منْ أنْ تقولَ الحقيقةَ

وجعُ الحقيقةِ
أنها تنامُ في حضنِ رجلٍ
وتعلمُ أنَّهُ قدْ يرتحلُ
وجعُ الأمومةِ
أنْ تبتسمَ منْ أجلِ طفلٍ
رغمَ الألمِ ولحظاتِ الندمِ
وتربي في جوانحِهِ الأملَ
وجعُ الهروبِ منَ الذئابِ
وجعُ الحياةِ

وجعُ القيودِ كألفِ بابٍ
وجعُ الجسدِ
آلامٌ متكررةٌ كعادةٍ شهريةٍ
كالبحثِ في المساءِ عن هُويةٍ
للأنثى ضِعفُ الرجلِ
حِصتانِ منَ الوجعِ

****

«غريبانِ»

غريبانِ يلتقيانِ
يقولانِ: كنا يومًا حبيبينِ
كنا يومًا صديقينِ
كنا كما كنا
نورًا وظلًّا خطوتينِ لا تتباعدانِ
نخلتينِ تطرحانِ
تمورَ الغرامِ
زهرتينِ منَ البنفسجِ حريريتينِ لا تذبلانِ

غريبانِ يلتقيانِ
كنهرٍ وبحرٍ؛ لا يمتزجانِ
كماءٍ ورملٍ لا يذوبانِ

جسدانِ يرتعشانِ

منْ فرطِ الحنينِ

وترانِ يهتزانِ

منْ نفسِ حزينٍ

عينانِ غارقتانِ في ندى دمعٍ

لمْ يجِفَّ ولمْ يخِفّ

يرويانِ تاريخَ الذكرياتِ

تنطقُ النظراتُ

ما زلنا حبيبينِ

شفتانِ تتهامسانِ

لا تنطقانِ... ذهبَ الكلامُ

لمْ نعدْ نحنُ

ولنْ يعودَ الزمانُ

صنمانِ منْ جليدٍ ومنْ أشجانٍ

وجهانِ لا يشرقانِ

إلا إذا التقى

الاثنانِ وناما

تحتَ ظلِّ القمرِ

وتعانقا لتذيبَ

حمى العناقِ جليدَهُمَا

وتعيدَ رعشةُ القبلاتِ روحَهُمَا

وأفاقا على صوتِ طفلينِ

يقولانِ:

أبي، أمي

طالَ الوقوفُ

فيقولُ الغريبانِ:

حانَ وقتُ الرحيلِ

« شتاءُ امرأةٍ »

أمطري ما شئتِ منَ الدمعاتِ
وأعلني في داخِلِكِ الشتاءَ
واغسلي ما فاتَ منَ الذكرياتِ
وما سمعتِهِ منَ الكلماتِ
بدموعِكِ الزرقاءِ

أعلني في داخِلِكِ البرودةَ
وغنِّي ما حفظتِ
منَ الأهازيجِ ومنَ الأناشيدِ الحمقاءِ
كطفلةٍ تلهو في مهبِّ الريحِ
ولا تكترثُ
كفاتنةٍ أرهقَها غزلُ المعجبينَ

ولمْ تندهشْ
وكوني جميلةً غامضةً مليئةَ الألوانِ
كقوسِ قزحٍ
كوني شتاءً قاسيًا
رياحُهُ الشماليةُ عتيةٌ
تكنسُ ما سقطَ من قلبكِ الدافئِ
في الخريفِ

أمطري قلبَكِ بالقطراتِ النفيساتِ
وعلميهِ الهدوءَ
علميهِ ألَّا يبكيَ معَكِ
وأنْ يقولَ لعينيكِ الحزينةِ:
أنتِ قائدتي القويةُ
علِّميهِ الابتسامَ

وانتظارَ الربيعِ
بعدَ الشتاءِ وقبلَ الغروبِ
علميهِ أنَّ الشتاءَ لا يدومُ
وأنَّكِ أنتِ مَنْ تملكينَ القضيةَ

****

« إليكِ »

كلُّ الطرقِ تدفعُني للرحيلِ
وتقولُ لي : ارحلْ
هذا الحبُّ دربٌ مستحيلٌ
ارحلْ
ودِّعْ هواكَ أوْ لا تودِّعْ
واكتمْ أساكَ
ولا تصرِّحْ، لملمْ بقايا حلمِكَ
واحفظْ طريقَ العودةِ
ولا تُعجِّلْ
لا تصدِّقْ كبرياءَكَ
واعترفْ
أنَّ الهزيمةَ لا تؤثِّرُ

فالحبُّ يا ولدي هو الدليلُ
هو السبيلُ
عاطفةٌ تمزِّقُ رجالًا
عاصفةٌ تنقلُ لقاحَ النشوةِ
بينَ قلوبِ السائلينَ
فكنْ قويًّا وارحلْ
اسلكْ دروبَ العاشقينَ الهاربينَ
وأقولُ لنفسي
وأنتِ نفسي
وأعلمُ أنَّكِ الآنَ تسمعينَ
وتفهمينَ أنني أجبرَني الرحيلُ

أنا أحدُ الرماةِ الذينَ ظنوا
أنَّهم فازوا وأرادوا أنْ يقتسموا
الغنائمَ وعادوا خاسرينَ

أنا الفنانُ الذي رسمَ الخيالَ
بريشةٍ وعندما وجدَكِ
رأى خيالَهُ واقعيًّا
فعانقَهُ عناقَ العاشقينَ

أنا أحدُ طغاةِ الحبِّ
أغزو ما استطعتُ منَ النساءِ
قلمي صولجاني وعيناي درعي
وحضني ملجأُ يتامى الحنانِ
وعندما غزوْتُكِ
صرتُ أحدَ التائبينَ

سأرحلُ عما قريبٍ أوِ الآنَ
لا تتعجبي

أنا القليلُ، أنا البخيلُ
أنا كنتُ أو سأكونُ ذكرى
صورةً في الهاتفِ وبعضِ الرسائلِ
وحضنًا لا يزالُ دافئًا
ونظرةَ عينٍ لا تذبلُ
كنتُ ملكًا وأصبحتُ لاجئًا
أنا القليلُ إليكِ وأنتِ ارتضيتِ
وأنا لنْ أخونَكِ
خُذي الحكايةَ كُلَّها وخبِّئيها
في عيونِكِ
وطهِّريها كلَّ يومٍ بملحِ دموعِكِ
كما خبأْتُ قميصي الذي لامسَ ضلوعَكِ
أنا القليلُ كنهرٍ جفَّ فيهِ الماءُ
لنْ يرويَ أبدًا زهورَكِ

أنا النعاسُ في سريرِكِ
سأرحلُ
كلُّ الطرقِ تدفعُني للرحيلِ
وتقولُ لي: ارحلْ
هذا الحبُّ حبٌّ مستحيلٌ

****

« أستطيعُ البكاءَ »

أستطيعُ البكاءَ بلا سببٍ
كأني سحابةٌ
أستطيعُ البكاءَ بلا تعبٍ
لأغسلَ ذنبَ العنبِ
ذنبَ البريءِ منْ إثمِ النبيذِ

أستطيعُ البكاءَ وحدي
وأمطرُ ذكرى الذين مضَوْا
وأنتَ منهمْ
وأحلامًا لا تنتهي
ولستَ منهمْ
وأشكو إلى البعيدينَ عني

كي آتَمِنَهُمْ
وأخبرُهُمْ أني ضعيفةٌ
وأني كنتُ في يومٍ
أقوى منَ الوجودِ ومنهمْ
حتى انكسرتُ
حتى كرهتُ أيامًا مضتْ
حينَ أهدرتَ دمي بعنادِك
وحينَ ابتعدتَ

أستطيعُ البكاءَ كأيِّ امرأةٍ
كالأطفالِ
كالأبطالِ العائدينَ
منتصرينَ مفتقدينَ شهداءَ المعاركِ

أستطيعُ البكاءَ بلا تعبٍ
لأنَّ الحزنَ يطاردُنا في المرايا
لأنَّ الحنينَ يشيخُ
لأني امرأةٌ لا تعودُ
إذا أبعدتْها أروقةُ الحكايا
أستطيعُ البكاءَ حريةً وانتصارًا
وليسَ نهايةَ روايةٍ

****

« نفق في قلبها »

نَفقٌ في قلبِها
كانتْ جميلةً رائعةً
حزينةً دائمًا
فأغراني الفضولُ أنْ أقتحمَ —عشَّها المغزولَ
منْ عزلةٍ
ومنْ فضةٍ بدأتْ في الظهورِ على شعرِها
المصقولِ بلمعةِ الندى
على وجهِ زهرةِ ياسمينَ
في فجرٍ لا يستقيمُ حسنًا
إلا بإشراقةِ وجهٍ

كانتْ جميلةً كوصفِ الإغريقِ والرومانِ
لأفروديت
كوصفِ عنترةَ للمعاركِ وقيسٍ لليلى
وكلِّ أبياتِ الشعراءِ القدامى

يا سيدتي التي أهملَها الحاضرونَ
ماذا بقلبِكِ؟
أرى منْ خلالِ عينيكِ تاريخيًّا
أُناسًا مرُّوا وأحلامًا كسرتْها
ريحُ الحياةِ
يا سيدتي
اسمحي لي بقليلٍ منْ وقتِكِ
ومنْ لمعةِ فضةٍ شعرتينِ
جذبوني إليكِ

أخبريني إحدى قصصِكِ
كي تكونَ قصيدتي التي راهنتُ
على قطفِها منْ معتركِ الحياةِ
انظري لعيني
كي أقرأَ بعضَ القصصِ
التي حيَّرَتْكِ
وكي أقولَ لكِ شعرًا
يناسبُ جمالَكِ المظلومَ بالحزنِ
فتقولُ عيناها:
اقتربْ
اقتربْ منْ نفقي
ومنْ نفسي عَلِّي أبيحُ لعابرِ سبيلٍ سرِّي
فيذهبُ
ويأخذُ معَهُ سرًّا أتعبَني

أحبُّ الحياةَ
والحبَّ الذي وصفتْهُ الأساطيرُ
وأبي الذي أفرَطَ في حنانِهِ
فلمْ يعوِّضْهُ رجلٌ
ورحلَ
أحبُّ أمي التي علَّمتْني
أنْ أتحملَ
ما لا يُطاقُ
وعندما تحمَّلتُ
انكسرتُ
أحبُّ عيونَكَ يا عابرَ السبيلِ
التي لمحتْ حزني
ولمْ يلمحْها
أقربُ الناسِ لي

اذهبْ ولا تعدْ
فأنتَ الآن قريبٌ جدًّا منْ نفقٍ
حفرتُهُ في قلبي
ودفنتُ فيه أسراري
اذهبْ قبلَ أنْ أبيحَ أكثرَ
ويقتلُني الحنينُ إلى رجلٍ

****

« تسقطُ الورقةُ الأخيرةُ »

ويحملُنا الزمانُ منْ عامٍ إلى عامٍ
منْ زنزانةٍ إلى زنزانةٍ أخرى
هيَ الأيامُ

نلوِّحُ لفرحِنا منْ بعيدٍ
فيردُّ التحيةَ
يودِّعُنا كزائرٍ خفيفٍ
يودِّعُنا ويعدُنا أنَّهُ سيعودُ
في ليلةِ العيدِ
ننتظرُ، ونعطيهِ قليلًا منْ أحلامِنا
ووروداً وورقًا مزركشًا معطرًا بالخلودِ
وقليلًا منْ مِسكِ خدودِ أمي

رُدَّ الزيارةَ يا فرحَنا
واجعلْ أحلامَنا غلافًا للهديةِ
يا فرحَنا لا تغِبْ كثيرًا
وكُنْ أسرعَ منْ رصاصِ البندقيةِ

ونحملُ ما تبقَّى منْ همِّنا المصقولِ
وبقايا أحزانٍ قديمةٍ
ندباتٍ تذكِّرُنا بتاريخِ جرحٍ
وأننا ما زلْنا نحيا، وأننا أقوياءُ
أننا وإنْ تعبْنا فسنُشفى
أننا نصفُ عابثينَ
ونصفُ أنبياءَ

يحملُنا الزمانُ منْ عامٍ إلى عامٍ
لا شيءَ أسرعُ مِنْ هذا الزمانِ
أيُّ شيءٍ قدْ يعودُ، أيُّ لصٍّ قدْ يتوبُ
أما الزمانُ فلا
كسجَّانٍ مسجونٍ
والسجّانُ مظلومٌ مثلُ ضحاياهُ
يرافقُهم أينَما كانوا
الزمانُ حبيسُ المكانِ

يحملُنا الزمانُ منْ صورةٍ إلى صورةٍ
منْ حالٍ إلى حالٍ
مِن حضنِ أبي
مِن رائحةِ صدرِ أمي
إلى امرأةٍ غريبةٍ

منْ براءةِ أختي

منْ دفءِ تختي

يحملُنا الزمانُ

منَ الطفولةِ إلى الشبابِ والكهولةِ

كلَّ عامٍ تسقطُ الورقةُ الأخيرةُ

ولا تسقطُ عنا ديونُ الأيامِ

****

البابُ السادسُ

"لعينيك"

« كبلادي البعيدة »

كبلادي البعيدةِ
كأحلامٍ أكتبُها على سرابٍ
والسرابُ أشبهُ بالحقيقةِ
لا حقيقةَ إلا أنتِ
ولا حياةَ بلا حكايةٍ
والحكايةُ سيرةُ الإنسانِ
وحبٌّ بعيدٌ وامرأةٌ عنيدةٌ

كميلادي في بلدِ الغرباءِ
أنتِ أمي وقمري وسريري
ولغتي، حروفي الأوليةُ
التي أحببتُها

ولا يفهمُها إلا مَنْ بايعتْني
على البقاءِ واللقاءِ

أنتِ رائحةُ البخورِ
وانتصارُ الروحِ، وضمادُ الجروحِ
مَنْ طهَّرتْني وغسلتْ روحي
بالماءِ والليمونِ
أنتِ قطعةُ البِلورِ
التي رأيتُ فيها عينِيَ تضحكُ
وأنا فيها أرى ما لا أرى

كزهرةٍ في حديقةِ القصيرِ
والحراسُ حولَكَ
وسورٌ يحولُ بينَ العاشقينَ

ويشعلونَ فينا نارَ وحشتِنا
ويطلبونَ ممَّنْ قالَ أحبُّكِ
أنْ ينتظرَ
والحراسُ لا ينامونَ
وأنا منْ أجلِ رائحتِكِ
وقلبِكِ أدمنتُ السهرَ

****

« مغنيةٌ ونادلةٌ وساقٍ »

-١-

حالةُ حصارٍ
بينَ قصصي القديمةِ
وكأسٌ
ورجلٌ يحتضنُ امرأةً
ويرقصُ
رأسُها استراحَ على كتفِهِ
كقرصِ الشمسِ
على سفحِ بحرٍ متموجٍ

-٢-

موسيقى لاتينيةٌ

تلقي بالعشاقِ في ساحةِ النصرِ

مغنيةٌ، ونادلةٌ، وساقٍ

وعاشقٌ يجلسُ في زاويةٍ

يراقبُهُمْ جميعًا

ثمَّ يعودُ إليكِ

يراكِ في لمعةِ شَعرِ النساءِ

في أقداحِ النادلةِ

في الرؤوسِ المُثقلةِ

في ابتسامةِ الغانيةِ والمغنِّيةِ

يراكِ في الصحوِ والمنامِ

-٣-

رجلٌ آخرُ يعشقُ الليلَ
والليلُ مبهمٌ غامضٌ
مثلُ عينيهِ التي أتبعَها البكاءَ
مثلُ وطنِهِ الذي حاصرَهُ الشقاءُ
يقولُ: لنْ أعودَ
ولنْ أجودَ عليهِ بقلبي
أحببتُهُ فكرهَني
وألقاني في حضنِ الغريبِ
ولم يكترثْ
علموني الخنوعَ
ولا أستطيعُ الرجوعَ

-٤-

شاعرٌ على مشارفِ الأربعينَ
وحيدًا حزينًا
يُحصي ضحاياهُ
مَنْ علَّمَهُمُ الأملَ والأمنياتِ
مَنْ باعَ لهمُ اليقينَ أغنياتٍ
ويتذكرُ مَنْ علمتْهُ الشعرَ
ذاتَ العيونِ الخضرِ
مَنْ علَّمتْهُ الحبَّ
وحيَهُ المتدفقَ
غابتَهُ الخضراءَ
مَنْ علَّمتْهُ السَّفرَ
ولمْ يستقرَّ

-٥-

رجلٌ عجوزٌ جاوزَ الستينَ
ولمْ ينتبهْ
تملأُ كأسَهُ نادلةُ الزمنِ
ويستكينُ
ويستكينُ

-٦-

سيدةٌ سمراءٌ تطلبُ أغنيةً
وترقصُ معَ الغرباءِ
عذراءُ
تتحدى الرجالَ
وتنتقمُ منْ حبيبِها
بالرقصِ حتى البكاءِ

-٧-

مغنيةٌ ونادلةٌ وساقٍ
وقصصٌ طويلةٌ
وليلٌ لا ينتهي

****

« دعيني أحبكِ »

دعيني أحبُّكِ ولا تنتبهي
دعيني أرافقُكِ كظلِّكِ مهما ذهبتِ
دعيني أتوبُ عنكِ بقربِكِ
فتجاهلي قربي
دعيني أغسلُ في عينيكِ عمري
منَ النساءِ السابقاتِ
دعيني أندمُ أني لمْ أرَكِ
منذُ الولادةِ
دعيني أقتربُ ولا أصرِّحُ
أقولُ بكِ شِعرًا
دعيني أتصفحُ شفتيكِ
ودعيني أحبُّكِ ولا أوضِّحُ

دعيني صديقَكِ، رفيقَكِ
دعيني لا عَلَيْكِ
ولا تحبِّي غيرَ ما أكتبُ
ذاكَ يكفي أنْ أنتشيَ
ولا أصرِّحُ

****

« عبادُ الشمسِ »

عبَّادُ الشمسِ
ملكةُ الزهراتِ
سيدةٌ منْ زمنِ الأغنياتِ
ومنْ ربيعِ الذكرياتِ
سيدةٌ بكلِّ ما في الكونِ
منَ الأمنياتِ
سيدةُ الأقدارِ السبعةِ
الحبِّ، والرزقِ، والأملِ
وبعضِ الجروحِ التي لا تندمِلُ
والخوفِ أحيانًا منْ غدٍ آتٍ لا محالةَ
وبعضُ الجنونِ أنْ تكونَ
كما تريدُ
والصبرِ العنيدِ

في مُراقبةِ ضوءِ الأملِ

عبادُ الشمسِ

امرأةٌ بلا شوكٍ

ولا شكٍّ، وبلا شكٍّ

هي أنعمُ من يدِ طفلةٍ

تسبحُ في الحريرِ

عبادُ الشمسِ

والشمسُ تشهدُ لها بالحنانِ

والشمسُ تكادُ تتبعُها

كما تبعتُها يومًا

ذاتَ اليقينِ والحدسِ

امرأةٌ كالشمسِ بلا خوفٍ

زهرةٌ صفراءُ بلونِ الحذرِ

فلا تعبِّرْ قلبَها المتسعَ

ولا تكتبْ لها

انتظرْ

انتظرْ دورَكَ مثلَ النحلاتِ

الخفيفاتِ

لتسمحَ لكَ بالمرورِ في رحيقِها

لتكتبَ لها عسلًا

وتواعدَكَ عطرًا لها

في إحدى لوحاتِها الصاخباتِ

فتنفجرَ في عينيها

نبعًا وقدرًا وماءً

عبادُ الشمسِ

امرأةٌ بلا شكٍّ

ملكةُ الزهراتِ

****

« النظرةُ الأخيرةُ »

ولعينيكِ النظرةُ الأخيرةُ
قبلَ موتي الثاني
قبلَ موتي البطيءِ
لعينيكِ الأمانيُّ والأغنياتُ وما تبقى منْ كلماتي
قبلَ وداعِ الأحبةِ
وتدوينِ الذكرياتِ على شاهدِ القبرِ
تاريخانِ؛ الميلادُ والموتُ أنتِ
وبينَهما طريقانِ
وطنٌ وسفرٌ
لعينيكِ الشهادةُ الأخيرةُ بالحبِّ
أشهدُ أني لمْ أكذبْ
لمْ تقتلْني امرأةٌ سواكِ

ولمْ أخُنْ تلكَ العيونَ
تفحَّصي قلبي
دمي الذي يجري بين ذراعيكِ
وينفجرُ في قصيدةٍ
ألمْ تصكِ نصلَ رموشِكِ
ألمْ تقتليني قبلَ هذا اليومِ
مرتينِ
عندما أحببتُكِ
وعندما عانقتِني مرتينِ
عندَ اللقاءِ وعندَ السفرِ
ألمْ تسحريني منْ بشرٍ إلى
صنمِ جامدٍ
إلى بشريٍّ يتجولُ في عالمٍ لا ينتهي
بحجرٍ بينَ الضلوعِ

وجوازِ سفرٍ
لعينيكِ كلُّ ما تبقى للرملِ
جسدي الوحيدُ
ضعي وسامَ الشهادةِ على صدري
قبلةً بلونِ شفاهِكِ القرمزيِّ

لعينيكِ القصيدةُ
وتحيةُ العلمِ لبلادي البعيدةِ
لعينيكِ كلُّ ما أوتيتُ منْ صبرٍ
حتى أعيشَ لاجئًا
في حضنِ الغريبةِ

لعينيكِ الولاءُ
والبكاءُ وفرحُ الحفاةِ بالعشبِ
وحزنُ العفيفاتِ عندما باعوا ضفائرَهُنَّ للغانياتِ

لعينيكِ توبةٌ

توبةُ الخائفينَ منَ الموتِ المفاجئِ

إلى أنْ يلتقوا في عينيكِ

ويقولوا:

كانَ يحبُّكِ

ومنْ أجلِكِ كتبَ هذهِ القصيدةَ

****

د.محمود مرسي

(صيدلي وشاعر وكاتب حر) من مواليد الإسكندرية ، خريج كلية الصيدلة ، جامعة الإسكندرية عام ٢٠٠٢

"الأعمال الأدبية"

- ديوان (آن لي أن أعترف) خريف ٢٠١٧

يتناول الديوان فلسفة الحب ومنظور الحب من وجهة نظر المرأة والرجل. خمسون قصيدة مقسمة في ستة أبواب.

- ديوان (آحلام على رفوف الذاكرة)

يناقش الديوان أحلام شاب هاجر بحثاً عن بداية حياة جديدة ويقابل في مشواره الطويل أحداث كثيرة وأشخاص يشاركونه نفس الأحلام.

****

"الفهرس"

- **الباب الأول** .....صفحة ٨

– القَدْرُ والحظُّ .....صفحة ٩

– أحلامٌ علَى رفوفِ الذاكرةِ .....صفحة ٢٤

– المهاجرُ والمسافرُ.....صفحة٣١

– سأصبحُ شخصا آخرَ .....صفحة ٣٤

– اعتذارٌ صفحة٣٩

– إسكندريةُ.....صفحة ٤٣

– جوازُ سفرٍ.....صفحة ٤٥

- **البابُ الثاني** " .....صفحة ٤٩

– مزمورٌ.....صفحة ٥٠

– يا بنيَّ " .....صفحة ٥٤
– يا جدي " .....صفحة ٥٨
– المصباحُ السحريُّ " .....صفحة ٦٤
– الباحثونَ عنِ الربِّ" .....صفحة ٧٠
– ما زالَ في قلبِكِ المجروحِ" .....صفحة ٧٣
– البابُ الثالثُ " .....صفحة ٧٥
– لنْ أكتبَ التاريخَ شعرًا " .....صفحة ٧٦
– سآتي إليكِ يوما" .....صفحة ٨٠
– رسالةُ محاربٍ أيارَ١٩٤٨" .....صفحة ٨٤
– سوريةُ الحلمُ" .....صفحة ٩١
– يقولونَ :ذهبَ ليعانقَ القمر" .....صفحة ٩٤
– نشرةُ الأخبارِ" .....صفحة ٩٦
• **البابُ الرابعُ**" .....صفحة ٩٩

– قمةُ التلِّ .....صفحة ١٠٠

– واقعكَ الغريبُ صفحة١٠٣

– حوارٌ معَ كأسٍ .....صفحة ١٠٦

– صورتانِ صفحة١٠٨

– زارتني في المنامِ صفحة١١١

– رسائل لم تعد صالحة للسفر صفحة١١٤

• **البابُ الخامسُ** صفحة١١٩

– فلسفةُ الوجعِ صفحة١٢٠

– غريبانِ .....صفحة ١٢٣

– شتاءُ امرأةٍ .....صفحة ١٢٦

– إليكِ .....صفحة ١٢٩

– أستطيعُ البكاءَ .....صفحة ١٣٤

– نفق في قلبها .....صفحة ١٣٧

– تسقطُ الورقةُ الأخيرةُ صفحة١٤٢

• **البابُ السادسُ** صفحة١٤٦

– كبلادي البعيدة صفحة١٤٧

– مغنيةٌ ونادلةٌ وساقٍ صفحة١٥٠

– دعيني أحبكِ صفحة١٥٦

– عبادُ الشمسِ صفحة١٥٨

– النظرةُ الأخيرةُ.....صفحة ١٦

****

في حالة وجود أي شكاوي من جودة طباعة الكتاب يرجي التواصل
معنا عبر صفحتنا الرسمية بال Facebook

" زيرو وان للنشر و التوزيع Zero one "

او عبر التليفون : 01090288777 - 01285829109

تباع النسخة الكترونياً عبر صفحة الدار

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense
زيرو وان للتوزيع – شارع أحمد فخري – مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 01285829109- 01090288777

«زيرو وان» للنشر و التوزيع

E.mail: Zeroonepictures@outlook.com

Zeronepictures.com

website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعّبر بالضرورة عن رأي الدار.